

خامسا: الدراسات النفسية والاجتماعية

ضرورات التعاون مُتعدد الأطراف في مكافحة الإرهاب في فضاء الساحل والصحراء

الباحث/ محمد عبد الباسط محمد على

تبذل القارة الإفريقية ولا تزال جهوداً مُضنية لمواجهة الإرهاب الأسود الذى أمسى آفة تستنزف مواردها وتجور على حقوق شعوبها وسيادة أراضيها، ولقد لاقت هذه الجهود تقديراً دولياً بتقرير الأمم المتحدة فى الحد من نشاط التنظيمات الإرهابية عام 2019 ؛ وهو ما أحدث انشقاها فى صفوف بعض التنظيمات وأجبرها على تغيير مناطق عملياتها والتحالف مع تنظيمات أخرى إستعواضاً لخسائرها، وحتى هذه اللحظة تستمر الجهود الإفريقية بالتعاون مع المجتمع الدولى كشريكاً أساسياً فى مكافحة الإرهاب، كما تسعى دول القارة جاهدة لتأسيس آليات جديدة تصبح سداً حصيناً يُكافح الإرهاب على محاور فكرية وتنموية وتستخدم آليات القوى الناعمة بأبعادها ومحاورها المختلفة .

يأتى ذلك لتنوع مفهوم الإرهاب فى أفريقيا ليتداخل مع مفاهيم أخرى كالجرمة المنظمة والعنصرية والعنف السياسى والصراعات القبلية وربما اجتمع بعض أو كل ماسبق سويّاً فى بعض الجماعات المسلحة الى أن أصبح وصف الإرهاب فى أفريقيا أقل صعوبة من تعريفه لاختلاف إيديولوجية هذه الجماعات وفقاً لمصالحهم . ثم زاد المشهد تعقيداً وتعاضمت التهديدات الإرهابية فى إفريقيا خاصة بفضاء الساحل والصحراء مع التحالفات الإرهابية الأخيرة على اختلاف أنماطها والتنافس بينها على الموارد البشرية والمادية، ويحدد مستقبل هذه التحالفات الطابع الأيدولوجى والبرجماتى لكل منها، وتداخل مناطق العمليات الذى يفرض أهمية التعاون اللوجيستى والعمليانى فيما بينهم ؛ فبدت القارة الإفريقية على الخريطة العالمية وكأنها بؤرة صراع مشتتة تتسع مع زيادة نهم أصحاب المصالح إحياءً لنفوذهم، واستخدم بعضهم الجماعات الإرهابية التى وصل عددها إلى أكثر من 64 جماعة إرهابية .

لقد أصبح التعاون متعدد الأطراف ضرورة مُلحة ومبدأً أساسياً لا يمكن إغفاله، ويلزم أن يُؤخذ فى الاعتبار لتخطيط واقعى لمكافحة الإرهاب ؛ يهدف إلى خلق آليات مُشتركة على جميع المحاور [التحليل والاستشراف، البحوث، التنمية المستدامة لتغيير البيئة الحاضنة للإرهاب

وإزالة المظالم التنموية المجتمعية، إعداد وتطبيق برامج إصلاح الفكر، التعاون الأمني والعملياتية،،،،، إلخ]، حتى نضمن تنسيق وتكاتف الجهود الإقليمية للقضاء على هذه الظاهرة .

أولاً: عوامل انتشار ظاهرة الإرهاب بالقارة الإفريقية:

هناك عدة عوامل ساهمت في ظهور وتطور الأنشطة الإرهابية في أفريقيا، منها:

1- العوامل الجغرافية.... هي إقليم يستلهم وظيفته الجيوبوليتيكية من هشاشة وميوعة الحدود وصعوبة مراقبتها، كما تتسع الرقعة الجغرافية مقابل ضعف الكثافة السكانية والقرب الجغرافي بين قارة إفريقيا وأوروبا الذي يُشجع على الهجرة غير النظامية .

2- العوامل السياسية..... التدخل الأجنبي في شئون الدول الأفريقية نتيجة هشاشة أوضاعها الداخلية -2- استقرار السياسي وانتشار الأزمات الداخلية والإقليمية عوامل ساعدت التهميش السياسي والاقتصادي والصراعات القبلية الإثنية وخصوصاً بعد الاستقلال في كثير من الدول الأفريقية التي فشلت حكوماتها، ما ساعد في تمدد الجماعات الإرهابية واستغلال الموارد الطبيعية لهذه الدول الاستغلال الأمثل، ثم تنامت عمليات التنسيق والتعاون بين العناصر والكيانات الإرهابية مع العناصر العاملة في مجال الجريمة المنظمة.

3- العوامل الاقتصادية..... ارتفاع معدلات البطالة في أوساط الشباب، انتشار ظاهرة الفقر وارتفاع معدلاته مع تراجع معدلات نمو الناتج المحلي، ومعدلات الاستثمار، وانتشار ظاهرة الفساد، إضافة إلى تدرّج الأحوال المعيشية .

4- العوامل المجتمعية والثقافية والتكنولوجية..... ضعف النسيج الأسري والعزلة عن المجتمع، وتدهور المنظومة التعليمية، وتدني مستويات المعيشة يدعم ظهور وتعاقد الإرهاب، وضعف دور المؤسسات الدينية وغياب المسؤولية الاجتماعية يساهم بصورة كبيرة في التمهيد للإرهاب والنزاعات والصراعات الإثنية، ونجاح الحركات الجهادية في توظيف الإنترنت لخدمة أغراضها الإرهابية للتجنيد والتضليل .

5- العوامل العسكرية والأمنية..... التغير النوعي في طبيعة أنشطة الجماعات الإرهابية التي أصبحت عابرة للحدود والقارات، مثال الإرهاب في ليبيا (حيث طالت تأثيراته الجوار الحدودي، سواء في مصر أو أفريقيا جنوب الصحراء وشمال كل من تشاد والنيجر)، ضعف عمليات مراقبة الحدود في بعض الدول الأمر الذي أدى إلى سهولة التنقل بين الدول وانتشار

العمليات الإرهابية ، انتشار تجارة المخدرات، والاتجار بالبشر، وانتشار الأسلحة الخفيفة، والجرائم المنظمة عبر الحدود، تغشى ظاهرة العنف والنزاعات المسلحة .

ثانياً: التهديدات الأمنية في فضاء الساحل والصحراء:

- 1 - يعتبر إقليم الساحل والصحراء من أفقر أقاليم العالم ويواجه تحديات الفقر ودوام ارتفاع أسعار المواد الغذائية مع سرعة نمو السكان، وانتشار الفساد والتوترات الداخلية كما تواجه دول الإقليم تحديات الظروف الجغرافية وتأثير التغيرات المناخية .
- 2 - على الرغم من عوامل الضعف الذاتي التي تتسم بها دول الساحل والصحراء "جنوب الصحراء" و"خاصة مالي"، والتي أهلتها لتدخل غالبيتها في إطار الدول الفاشلة جاءت التأثيرات الأمنية التي عكستها التحالفات الأخيرة للتنظيمات الإرهابية لتضاعف من التهديدات الأمنية والإنسانية كما شهدت المنطقة مصادر تهديد داخلية وخارجية تأثرت بها دول الجوار .
- 3 - وبالنظر لخارطة الأزمات الداخلية التي تعرفها إفريقيا يمكن إدراج المنطقة بقوس الأزمات انطلاقاً من الأزمات الإثنية المستعصية بالسودان في جنوب السودان و دارفور ثم تشاد وصولاً إلى الانقسامات الداخلية والتهديدات الأمنية التي تعرفها النيجر، مالي وموريتانيا، وينتظر أن تتوسع وتتفاقم هذه التهديدات الأمنية وذلك لتوفر عدد من الحركات السببية ومنها أساساً الطبيعة الاجتماعية المفككة إثنيا وقبلياً وعرقياً وحركات الاندماج المجتمعي، خاصة مع غياب ثقافة سياسية وطنية موحدة ؛ ما نتج عدة أزمات مثل [دارفور - الطوارق " مالي والنيجر" - الاضطرابات العرقية في موريتانيا والصدامات الإثنية وحتى القبلية في تشاد]، وفشل الدول الجديدة التي ورثت حدوداً سياسية دون مراعاة الحدود الأنثروبولوجية للمجتمعات المحلية .
- 4 - كما تحولت مسارح العمليات الإرهابية لبعض الجماعات خلال السنوات القليلة الماضية

- بعد أحداث 11³ - إلى فضاء الساحل والصحراء كبيئة أكثر ملائمة لتلك الأعمال الإرهابية الأمر الذي -س-ر المنطقة في خطر كبير .

ثالثاً: تحالفات الجماعات الإرهابية في منطقة الساحل والصحراء

- 1 - لقد تعقدت الأمور في فضاء الساحل والصحراء بمجرد تحول الاهتمامات السياسية للجماعة السلفية للدعوة إلى القتال وإعلانها الانضمام تحت لواء تنظيم القاعدة، وتدويل العمليات الإرهابية بانضمامها لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي "AQMI" 2007،

ثم التنسيق مع الجماعات الإرهابية الأخرى كالشباب في الصومال و"بوكو حرام" في نيجيريا وجماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا "MOJWA"، والحركة الوطنية لتحرير الأزواد "MNL" في شمال مالي، وتشير التقديرات أن عدد المقاتلين في الجماعات الإسلامية في ارتفاع كبير أغلبهم من العرب وقبائل الطوارق .

2 - وجدير بالذكر أن هذه التحالفات قد عظمت من قدراتها وحقت تفوقاً ملحوظاً على قدرات قوات إنفاذ القانون لبعض الدول، كما تمكنت من السيطرة الكاملة على بعض المناطق وما تحويها من موارد مختلفة لا سيما في أجزاء من وسط وجنوب وغرب أفريقيا ؛ لدعم وتمويل الجماعات والحصول على احتياجاتها من الأسلحة المختلفة حتى تمكنت مؤخراً من الحصول على بعض العربات المدرعة وأنظمة الطائرات بدون طيار وتقنيات المعلومات والاتصالات .

3 - تحولات الإرهاب من الاستحواذ إلى التجوال:

حيث تحولت الجماعات إثر الضغوط العسكرية الإقليمية والدولية من الاستحواذ إلى تكتيك "الإرهاب الجوال" الذي يستهدف نشر هجماته على نطاق جغرافي أوسع يصعب مواجهته خاصة في مناطق شمال مالي، وشمال شرق نيجيريا، وشرق ليبيا .

رابعاً: ضرورات العمل الجماعي متعدد الأطراف لمكافحة الإرهاب بالقارة الإفريقية:

إن المستوى العالي من التهديد الذي تشكله الجماعات الإرهابية بعد تحالفاتها الأخيرة وتوسعها المستمر في أجزاء من فضاء الساحل والصحراء يؤكد الحاجة إلى نهج متعدد الأبعاد يحقق التكامل بين دول القارة لرفع قدراتها المختلفة حتى تتمكن من اتخاذ التدابير اللازمة وقائية كانت أو مواجهات أمنية .

ومن هنا برزت أهمية الاتفاقيات بين دول التحالفات / التجمعات ؛ لتنظيم المهام والمسؤوليات باعتبار هذه الدول صاحبة إرادة سياسية ونظام مؤسسي متماسك يضمن استمرار الحقوق والواجبات لكل منهم مع تغير رؤوس السلطة ويستند على معايير دولية عادلة .

1 - نذكر بعض الاتفاقيات الداعمة للعمل الجماعي متعدد الأطراف:

اتفاقية [الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب - المعاهدة المنقحة لتجمع دول الساحل والصحراء 2013 - الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية والبروتوكولات الملحقة بها

2018 - الأمم المتحدة لمكافحة الفساد 2016 - الأمم المتحدة لمكافحة الاتجار غير المشروع في المخدرات والمؤثرات العقلية 1988 - الدولية لقمع تمويل الإرهاب 1999 - العربية لمكافحة الإرهاب - العربية لمكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب - العربية لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية 2014 - الدولية لتسليم المجرمين لعام 1952 - العربية للتعاون القضائي (الرياض 1983) - إتفاقية المقر لمركز الساحل والصحراء لمكافحة الإرهاب (القاهرة " 2021 ") - 0000 إلخ] .

2 - ⁴⁻ التنسيق آليات (منظمات / مكاتب / أو مراكز 0000 إلخ تضمن تحقيق التعاون بين سرف: مكتب الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب " نيويورك " - التحالف الدولي الإسلامي لمكافحة الإرهاب " الرياض " - مركز الساحل والصحراء لمكافحة الإرهاب " القاهرة " - الأكاديمية الدولية لمكافحة الإرهاب " ساحل العاج " إلخ] .

خامساً: مركز الساحل والصحراء لمكافحة الإرهاب كنموذج للعمل الجماعي متعدد الأطراف:

يعكس مركز مكافحة الإرهاب لتجمع دول الساحل والصحراء CEN-SAD / CTC إرادة رؤساء دول وحكومات البلدان الأعضاء في التجمع للإتحاد في مكافحة الإرهاب، بهدف استعادة الظروف المناسبة للتنمية المستدامة وتحقيق التكامل الاقتصادي، ويُعتبر أداة تشغيلية قادرة على اكتشاف وتفكيك وردع وتخفيف الأنشطة الإرهابية داخل المنطقة واستعادة السلم والأمن .

ويعتبر المركز أحد الشواهد الحقيقية للدعم المصري للقارة الإفريقية بوجه عام و دول تجمع الساحل والصحراء بوجه خاص في مجال السلم والأمن، خاصة بعد الجهود الكبيرة التي بذلتها جمهورية مصر العربية ليُصبح واقعاً معروفاً على المستويين الإقليمي والدولي يخدم المجتمع الإفريقي .

1- الظروف الداعية لإنشاء مركز مكافحة الإرهاب لتجمع دول الساحل والصحراء :
أ - تقديم التمويل الخارجي (تسليح - أموال - معلومات - تدريب - تسهيل الانتقال - ملاذات آمنة 000) للجماعات الإرهابية بما جعل هذا الإرهاب بحكم توفر نظم الاتصالات التي يصعب السيطرة عليها .

- ب - صعوبات تقديم الدعم الأمني لدول الساحل والصحراء لتدخل التهديدات والتحديات المركبة التي تواجهها المنطقة، سواء كانت متصلة بالجماعات الإرهابية أو الجريمة المنظمة، أو تداعيات تغير المناخ من جفاف وتصحر أو غيرها .
- ج . صعوبة تقديم المساعدات الأمنية المباشرة وغير المباشرة من بعض الدول من خارج المنطقة نظرا للتكلفة العالية خاصة للعمليات العسكرية .
- د - غياب التنسيق الإقليمي والدولي تجاه المنطقة والذي يتسم غالبا بالتنافس لتحقيق مصالح .

2- مهمة المركز و الأهداف العملية:

المهمة مركز مكافحة الإرهاب لتجمع دول الساحل و الصحراء مكلف بمكافحة (الإرهاب، الجرائم المنظمة، والهجرة غير النظامية في فضاء الساحل و الصحراء) .

الأهداف العملية [تطوير الخبرة الفنية للدول الأعضاء في تجمع الساحل والصحراء في المجالات ذات الأولوية لتكون قادرة على تنفيذ مهام (الأمن عبر الحدود، تجفيف منابع تمويل الإرهاب، والأمن السيبراني، ومكافحة التطرف، وكشف المتفجرات والتخلص منها، وتهريب الأسلحة، والتسلل، ومكافحة الهجرة غير النظامية والاتجار بالبشر، إلخ) - تحديد مجالات التعاون المشترك والوسائل لتوحيد الجهود لبناء قدرات البلدان الأعضاء - إجراء دراسات وتحليلات، بما في ذلك تنظيم ورش عمل وندوات حول تقييم جميع جوانب التهديدات الإرهابية والجرائم المنظمة العابرة للحدود، وتحديد مجالات التعاون المشتركة وسبل دعم جهود بناء قدرات الدول الأعضاء - مساعدة الدول الأعضاء على تنفيذ التوصيات الدولية والإقليمية في هذا الشأن، والعمل على تعزيز قدرة هذه الدول على تجفيف مصادر تمويل الإرهاب - التنسيق بين الدول الأعضاء بشأن المخاطر والتهديدات الإرهابية هـ. وضع رؤية متكاملة لمكافحة الإرهاب في منطقة الساحل والصحراء -

دعم جهود تدريب وسووير وبنوية القدرات العسكرية والشرطية والمدنية والاستخباراتية في الدول الأعضاء لمكافحة الإرهاب والتطرف والجرائم الأخرى ذات الصلة وتعزيز قدرات الدول الأعضاء في مواجهة الشاملة لظاهرة الإرهاب] .

التركيب التنظيمي يُشكل المركز من ثلاث إدارات رئيسية [إدارة التحليل والاستشراف - إدارة الشؤون المالية والإدارية - إدارة التخطيط وبناء القدرات] وبكل إدارة أقسام تخصصية تمكنها من تنفيذ المهام الموكلة إليها وفقاً لاتفاق السادة / رؤساء الدول الأعضاء والذي صدر بشأنه تقرير الاجتماع الخامس لوزراء دفاع

الدول الأعضاء بتجمع س - ص / شرم الشيخ - جمهورية مصر العربية - في المدة من (24 - 25 / 3 / 2016) .

يتم تمويل المركز من خلال الميزانية السنوية المخصصة من دول التجمع،، المساهمات الطوعية من الدول الأعضاء،،، المساعدات والتبرعات والمنح المقدمة من الحكومات والمنظمات الدولية والإقليمية .

سادساً: الرؤية المستقبلية لتفعيل وإدارة مركز الساحل والصحراء لمكافحة الإرهاب

في إطار متعدد الأطراف:

1 - إرتكزت الرؤية المطروحة على عدد من الأسس والاعتبارات يعد أبرزها [المعاونه في سرعة تنفيذ سياسات وأهداف الشعوب الإفريقية - تعقد المشهد السياسي والأمني بمنطقة الساحل - كثافة التواجد الدولي بمنطقة الساحل والصحراء وأهمية تنسيق الجهود - التحالفات الأخيرة للتنظيمات الإرهابية وإرتباطها المباشر بالجريمة المنظمة والهجرة غير النظامية - تنفيذ المهمة بالتعاون مع منظمات المجتمع المدني، المنظمات الغير حكومية،،،، لتعظيم الإمكانات والخبرات - تحقيق إنجازات ملموسة مع مراعاة عامل الوقت] .

2 - تعتمد الرؤية على تعدد مسارات الحركة لتنفيذ المهمة [إصلاح الفكر / بكل

مرجعياته

[دينية / سياسية / إجتماعية / مشتركة] من خلال برامج التدريب المتخصصة وإعادة التأهيل - التنمية والإستثمار/ بهدف تغيير البيئة الحاضنة للإرهاب وإزالة دافع السكان المحليين للانضمام إلى الجماعات الإرهابية .

3 - تنفيذ العمليات والتنسيق الإستراتيجي بوضع إستراتيجيات لتنفيذ مهام مشتركة من

خلال

عدد من المجالات " توحيد المفاهيم والمصطلحات - التخطيط الإستراتيجي- تقديم النصائح لصياغة السياسات - تدريب ورفع القدرات - التنسيق على التدريبات والعمليات المشتركة " [بالتعاون مع جميع سلطات الدول الأعضاء والشركاء على المستويين الإقليمي والدولي لنشر السلام وتحسين البيئة الأمنية بمناطق الصراع كالاتي:

ضحايا الإرهاب وشهداء عمليات مكافحة الإرهاب، إستناداً على دساتير / قوانين الدول الأعضاء وبما يتوافق مع القوانين والأعراف الدولية المنظمة لذلك .

ل - توطيد العلاقات مع العديد من المنظمات الحكومية وغير الحكومية والوكالات التي توفر الموارد والدراسات والمعلومات الهامة .

6 - تُنفذ مسارات الحركة لرؤية المركز - على التوالي / أو التوازي - وفقاً للإمكانيات المتاحة، كما تغطي المناطق الأكثر تهديداً والحدود والبؤر الإرهابية الأكثر شراسة بأسبقية عند التخطيط لتنفيذ المهام العملياتية للمركز .

7 - تتبنى الرؤية المستقبلية طموحاً يُنفذ تدريجياً على المدين المتوسط والبعيد لإنشاء قوة إفريقية جاهزة للانتشار والتدخل السريع يقودها المركز كرئاسة أركان مُوحدة لدول التجمع [البيان الختامي للدورة الإستثنائية للمجلس الرئاسي لتجمع (س 0 ص) ندجامينا / تشاد، 16 فبراير 2013] .

- خاتمة الدراسة:

لقد عظمت التحالفات الإرهابية الأخيرة من قدراتها وحققَت تفوقاً ملحوظاً على قدرات قوات إنفاذ القانون لبعض الدول، كما أتاحَت لها ظروف تزداد الأحوال المعيشة والأمنية السيطرة الكاملة

على بعض المناطق وما تحويها من موارد مختلفة لا سيما في أجزاء من وسط وجنوب وغرب أفريقيا تستخدمها لدعم وتمويل الجماعات للحصول على الأسلحة التقليدية والارتجالية، حتى تمكنت مؤخراً من الحصول على بعض العربات المدرعة وأنظمة الطائرات بدون طيار وتقنيات المعلومات والاتصالات .

تشهد منطقة الساحل والصحراء عدة معضلات أمنية تتفاقم بشكل مستمر وتعتبر الأكثر تضرراً بين مناطق القارة في انتشار ظاهرة الإرهاب ؛ الأمر الذي يعيق مختلف جهود التنمية والديمقراطية بها، كما أن ضعف قوات إنفاذ القانون على حدود هذه الدول يُفسح المجال للهجرة غير النظامية والجرائم العابرة للحدود خاصة تهريب الأسلحة، و التجارة غير القانونية وما لها من تداعيات على الأمن الإفريقي والدولي، كما يشير إلى الضرورة الحتمية للتعاون متعدد الأطراف لمواجهة ظاهرة الإرهاب .

في ضوء ذلك فإن مركز الساحل والصحراء لمكافحة الإرهاب يُعتبر مركزاً إقليمياً يعمل تحت مظلة الاتحاد الإفريقي وأسس وفقاً للقانون الدولي والميثاق العام للأمم المتحدة ؛ تحقيقاً لإرادة الدول أعضاء التجمع بمبادرة وجهود مصرية خالصة، وبتوجيه من رؤساء هذه الدول .

يمكن الاستفادة من المركز برؤيته المستقبلية للعمل كنموذج للتعاون متعدد الأطراف،

يُحقق أهدافه العملية المخططة لخدمة شعوب التجمع بالتعاون مع الشركاء الدوليين،

اعتماداً على [منهج علمي يركز على دراسات تحليلية - قاعدة بيانات دقيقة - إستراتيجية واضحة تجابه الفكر المتطرف وتدعم التنمية المستدامة للدول بالتوازي مع العمليات المشتركة] ،

كما يتطلع المركز أن يحقق قيمة مضافة حقيقية تسهم بصورة فاعلة في تغيير البيئة الحاضنة للعناصر

الإرهابية بمناطق العمليات ورفع قدرات قوات إنفاذ القانون بدول التجمع .